

نحو تأصيل وترشيح للطرح الابيستيمولوجي في تناول العلوم الإنسانية والاجتماعية.

د/ محمد خلايفية

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

جامعة الجزائر 02

1- تمهيد .

إن من المهمات التي توضع على عاتق دارسي العلوم الإنسانية والاجتماعية، مهمة توظيف هذه العلوم لخدمة الإنسان (هذا الكل المتراكب المتواظف)، ومن ثم، فلا بد من جهود جادة، يكون من أعلى وأعلى مطالبها تحقيق التناول « الشمولي » في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية وهذا التناول هدف سامق يسعى ويسعد الجميع لتحقيق كونه موصوفاً بالمنهجي ، لأن المنهج الفعال كالسلوك السوي في تفاعله الطبيعي المتناغم مع مكونات الحياة (الأحياء والأشياء)، ومع تلك العناصر التي تربط بينها و الممثلثة في: (المكان، والزمان، وعامل التعايش؛ أو زمن الحياة).

وتأسيساً على السابق، تصبح مسألة المنهج (Méthode) أساسية في جميع العلوم، لأنها السبيل الموصلة إلى الحقيقة، أو ما يُقدّر الباحثون أنه الحقيقة، لأن سلوك هذا السبيل وتحديد مساره أمر بالغ الاعتبار بالنسبة للنتائج التي يتوخى البحث العلمي - في كافة العلوم - الوصول إليها؛ إلا أن العلماء والباحثين يختلفون في تحديد المنهج - معنى ودلالة، إذ ينزغ كل واحد، أو كل فريق منهم نحو تأسيس معين انطلاقاً من المنهج الذي يسيرون عليه. وهذا ما يجعل تفهم هذه المسألة أمراً بالغ الخطورة وبالع الأهمية.

وفي هذا السياق، تأتي هذه المقالة - في مجال فلسفة العلوم وابيستيمولوجيتها - محاولةً مناقشة فكرة تأصيل وترشيح تناول العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك باستخدام المنهج الوصفي، المتضمن للتحليل والاستنتاج، بقصد الوصول إلى بعض المعالم التي يمكن استثمارها كمنطلق لدراسات أو أطروحات لاحقة.

2- محاولات في طريق تفهم مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية .

في سبيل ضبط وتيسير تفهم مسألة المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية (بالتناول الغربي) عملت باحثة وأستاذة جامعية فرنسية، تدعى: (Grawitz Madeline) لسنواتٍ طوالٍ على جمع ومقارنة توجهات

العلماء والباحثين في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية، وذلك من أجل ضبط القواسم المشتركة بين المناهج المتبعة في هذه العلوم، منتهية إلى أن المنهج في بدايته، ونهايته، أسلوب (style - mode) منطقي ملازم لكل عملية تحليل تكتسي طابعاً علمياً. (نظرياً أو ميدانياً) وهو - أيضاً - أسلوب لكونه يستغرق أكثر من عملية تتلاقى جميعها عند بلوغها هدفاً واحداً أو أهدافاً مشتركة. إن العمليات الجزئية التي يمكن أن تكون - في الواقع - منفصلة، وغير ذات قيمة؛ تصبح في إطار ما يُطلق عليه «منهج» مركبة ومتواظفة، و من ثم يُمسي كل منها متسماً بدور جزئي يخدم بلوغ الهدف الشامل للبحث. و لا يضرّ تعدد هذه العمليات و تنوعها في ماهية المنهج، حيث أنها كعمليات الضرب و الطرح و الجمع و القسمة، إذ تندرج جميعها ضمن إطار أسلوب واحد هو: الأسلوب الحسابي (Arithmétique) (style) ¹ وهذا ما يجعل العمليات في إطارها المنهجي، عمليات ذهنية منطقية، بصرف النظر عن نوع المنطق المستخدم (منطق صوري، جدلي مثالي، جدلي مادي)، كما أنها تتبّع لزماً موقفاً حراكياً يتعايش مع الواقع المعيش للقضايا المطروحة، أي: أنه يعيش حياة الناس؛ إذ لا جدوى لمنهج مجرد يعيش في برج عاجي يعالج قضايا مجردة، بعيدة عن حياة الناس ² وإن كان هذا المنهج في حد ذاته، ينطلق من مفاهيم مجردة ! فالمنهج الذي نتكلم عنه مفهوم مجرد و عملائي في آن واحد؛ وتلك هي خصوصية المنهج في العلوم الاجتماعية ³

3 - هل للمنهج استقلالية؟

لقد أثار عدد من الباحثين مسألة ابستمولوجية محورية، فحواها نص السؤال: هل للمنهج استقلالية؟ واستقراء لما دار من حوار علمي في المسألة، نجد فيها ثلاثة آراء:

الرأي الأول: القائل بأن المنهج يتمتع باستقلالية تجاه الموضوعات التي تُدرس في إطاره. فالقصور الذي يبرزه الاقتراب الميداني لا يكمن في المنهج في حد ذاته، إنما في الافتراضات الفلسفية التي ينطلق منها الباحث، و يستخدمها كعناصر لمنهجه الأصيل؛ و الأخطاء تنتج من الخلط بين عناصر المنهج الأصلية و التصورات المسبقة. فالمنهج على حد رأي هذا التوجه يتمتع بعصمة عضوية (organic inerrancy) إنه يقع على مستوى الفكر لا على مستوى الواقع، بمعنى أنه من حيث طبيعته ذاتها فهو غير قابل للخطأ الفكري، بل هو عرضة للخطأ المنهجي فقط (و الذي هو من طبيعة علمية صرف) ولا علاقة لهذا الخطأ بالخطأ الفكري أو المعرفي الذي قد يضفيه الباحث على موضوع دراسته، والذي غالباً ما يكون دون تعمّد أو وعي.. **فالمنهج بالتالي،** فوق الأخطاء حيث أنه يقع في مستوى المعادلات الفكرية فقط. إنه معصوم من الخطأ في حد ذاته. أما الذي يخطئ فهو الإنسان؛ الباحث الذي يستخدم هذا المنهج أو ذاك، لا المنهج الذي هو مجرد سبيل يسلكه الباحث للوصول إلى الحقيقة الظاهرة (Fact - apparent).

أما الرأي الثاني : فيذهبُ إلى أنَّ المنهج خلاصة تجارب عدّة ، قد تَمَّت في الواقع ،ومن ثمّ، فهو بشريّ الطَّبيعة في تركيبه الأساس، و بناءً على ذلك، فإنَّ صحّة النتائج وصدقها (**correctness and veracity**) يبقى على الدّوام نسبياً ؛وعند هذا المستوى،يصبح التكلم عن عصمته أمراً بعيد المنال .

ويبرزُ دعاءُ هذا الرأي طرحهم بالقول : **أن لا منهج في الطبيعة أو في المادة بصفة عامة .**
 « لأنَّ المنهج هو في وعي الإنسان، ومن الإنسان ومن نتائج فكره . لذا فهو يخضع لمبدأ النسبية التي يخضع لها الإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً. فلا وجود - إذن - للمنهج خارج إطار الوعي و الفكر .
 وهذا ما يجعل منه طرفاً مسؤولاً، مثله مثل الباحث، عن الأخطاء أو التعثرات التي تعترض بلوغ حقيقة الظاهرة الاجتماعية . فهناك علاقة جدلية بين نتائج البحث المنهجي والمنهج نفسه ، ولا مجال لفصل هذين العنصرين عن بعضهما ، أو لتبرئة المنهج على حساب النتائج الميدانية التي يتمّ التوصل إليها . فالمنهج و الحقائق الميدانية يعودان في نهاية المطاف إلى الوعي البشري الذي كَوّن الأولى و استوعب و قَوّم الأخرى . » ⁴

أما الرأي الثالث فمفاده أنَّ المنهج « كالسبيل الذي نسلكه لبلوغ هدف في أعلى جبل أو في أسفل واد . ولا يدخل بحد ذاته - أي كمجموعة عناصر منهجية و عمليات مقارنة في تركيب المادة الاجتماعية المراد تحليلها . فهو من طبيعة مختلفة نسبياً عن طبيعة الموضوع الاجتماعي المدروس . غير أنه يمكن للباحث سالك هذا السبيل، أن يبتكر (Innovate) فيه محطات وهمية وهمية ليخلص بعدها إلى نتائج ، يعتبر أنَّه وجدها على هذا السبيل، في حين، قد يكون هو الذي وضعها على هذا السبيل، لأسباب تتعلق به، و في الحالين، قد تكون هذه الإضافات إضافات إيديولوجية، أي أنها تتأثّر بفعل توجيه معين يخدم مصلحة اجتماعية و اقتصادية معينة. فالمناهج التي يتم ابتكارها في إطار معاهد أو مؤسسات ثقافية عليا، تبقى على علاقة عضوية (**relation organic**) في الشكل و في المضمون مع من أبدعها . » ⁵

هنا يكمن البعد الإيديولوجي للمنهج الذي يرى أصحاب الرأي الثالث أنَّه ملازم بالضرورة للمنهج. لكن لا يدخل بحد ذاته - أي كمجموعة عناصر منهجية و عمليات مُقَارَنة - في تركيب المادة الاجتماعية المراد دراستها . فهو من طبيعة مختلفة نسبياً عن طبيعة الموضوع الاجتماعي المدروس .
 و بما أنَّ المنهج يخضع لمبدأ النسبية الاجتماعية، و لطالما أنَّه عرضة للتوجيه، فينبغي، على حدّ رأيهم توجيه هذا المنهج بشكل أيديولوجي صحيح حتّى يُستفاد من نتائجه.

4- الابستمولوجيا لغةً واصطلاحاً ؟

من أهمّ ما تُطلَبُ ونُقَوّمُ به العلوم الإنسانية والاجتماعية في عصرنا، ما اصطلح على تسميته:

« الإبيستيمولوجيا » ؛ فما الابيستيمولوجيا ؟

الابيستيمولوجيا (**Epistémologie**) مصطلح أعجمي مركب من كلمتين :
 (**Epistémé**) وتعني: العلم؛ و (**Logos**) وتعني: النظرية أو الدراسة، وعليه فالإبيستيمولوجيا هي:
 النظر في العلوم، أو فلسفة العلوم (من فلسف، يُفلسف، فلسفة)، أي: القيام بالنظر في العلوم، أو في نتائج
 العلوم، أو « دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها
 الموضوعية »؛ لذا يفرق الباحثون في هذا المجال، بين الابيستيمولوجيا وبين نظرية المعرفة (**Théorie De Connaissance La**) وإن كانت الأولى مدخلاً ضرورياً للثانية. وذلك لأن الإبيستيمولوجيا لا تبحث في
 المعرفة من جهة ما هي مبنية على وحدة الفكر، كما في نظرية المعرفة، بل تبحث فيها من جهة ما هي معرفة
 بعيدة مفصلة على أبعاد العلوم وأبعاد موضوعاتها ومع ذلك، فإن اصطلاح الإبيستيمولوجيا في الإنجليزية
 مرادف لاصطلاح « نظرية المعرفة »؛ أما في اللغة الفرنسية، فهو مختلف عنه لأن معظم الفلاسفة
 والإبيستيمولوجيين الفرنسيين لا يطلقونه إلا على « فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي »؛ وإن كان بعض الباحثين
 يُوسّع معناه ويطلقه على سيكلوجية العلوم، لأن دراسة تطور العلوم لا تنفصل عن نقدها المنطقي، ولا عن
 مضمونها الحسيّ المشخص .⁶

5- الإبيستيمولوجيا، هل هي تناول وصفي أو تناول معياري ؟

إن محاولة وضع الإبيستيمولوجيا في إحدى الخانتين (العلوم الوصفية **Sciences descriptive**)
 التي تحاول وصف الظواهر الإنسانية كما هي عليه في واقع الناس، أو (المعيارية **Sciences Normatives**)
 وهي تلك المؤلفات من أحكام إنشائية، أي أحكام قيم أو تقويم، تدخل في مسمى التصنيف (**Classification**)
⁷ ، وإن كانت التناولات الإبيستيمولوجية لم يُطلق عليها لحد الآن اسم علم، إلا أن مسمى التصنيف
 يستغرقها، لأن وصفها بالنظرية يدنو بها نحو وصف الاقتراب العلمي (**Approche Scientifique**).

ومن التصنيفات القديمة المشهورة للعلوم : « تصنيف أرسطو » و « تصنيف ابن سينا »

و « تصنيف ابن خلدون ». ومن الحديثة « تصنيف بيكون **Francis – Bacon** »

و « تصنيف آمبير **Ampair** » و « تصنيف أوغست كونت **August Comte** »⁸

ومن المفيد أن يعلم الباحث في العلوم الإنسانية، على الأقل تصنيفين :

أ - تصنيف ابن خلدون، الذي قسم العلوم إلى قسمين :

الأول : قسم العلوم العقلية .

وهي طبيعياً للإنسان من حيث هو مفكر وعقل، وتسمى العلوم الحكمية، وتشمل على أربعة علوم: المنطق، الرياضيات، الطبيعيات، والعلم الإلهي.

والثاني : قسم العلوم النقلية.

وهي تلك التي تستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي، و تشمل التفسير، والقراءات و الحديث، وعلم الفقه، وعلم الفرائض، وعلم أصول الفقه، وغيرها ...

ب - تصنيف أمبير Ampair ، وقد بناه على الموضوعات التي تتناولها العلوم، وهي عنده قسمان :

الأول : قسم العلوم الكونية (Sciences Cosmologiques)، وموضوعاته المادة .

والثاني : قسم العلوم المعنوية (Sciences Noologiques)، وموضوعاته الفكر.

وقد وضع (أمبير) لكل قسم من هذين القسمين الكبيرين فروعاً كثيرة و مختلفة.⁹

وهذه التصنيفات تقسم العلوم إلى وصفية و معيارية؛ وقد يكون العلم الواحد - بما فيه من تداخل وترابط وتواظف - وصفاً ومعيارياً في آن واحد. والابيستيمولوجيا، باعتبارها توجيه النظر والنقد للعلوم من حيث أصولها ومبادئها. وبغض النظر عن وصفها - في حد ذاتها - بالعلم ! فإنها تدخل في نطاق التناولات المعيارية.¹⁰

6- ما الموقع الذي تحتله الابيستيمولوجيا في علومنا الإنسانية ؟

رغم الكم الهائل من « المعارف » التي ندرسها ونُدرسها لطلبتنا إلا أن الجانب النظري النقدي فيها قليل جداً، وهذا ما جعل العقلية السائدة آلية ومنفعلة، بدل أن تكون محللة وفاعلة !! فيخرج الطالب خلوّاً من آليات النقد و التحليل، حتى أن العديد من الطلبة لا يستطيعون توجيه نقاش علمي مدلل حول موضوع متعلق بالعلوم السلوكية أو الإنسانية ! فضلاً عن تخصصات أخرى.

ومن هنا، يبدو أننا بحاجة إلى تفعيل الموضوعات المنهجية، أو تلك التي تعالج « وضعيات مُشكلة » حتى يترى طلبتنا على كيفية الخروج من الوهم العلمي (Fiction scientific)¹¹ الذي قد يلزمهم طيلة حياتهم في علمهم ومعاشهم !

7- ترشيد تناولات العلوم الإنسانية بين الوصفية والمعارف والواقعية.

إن ما نقوم بدراسته - اليوم - من علوم ومعارف متعلقة بالإنسان، هو دراسة لتكديسات هائلة

(**Accumulation - Entassement**) دامت أحقاباً طويلة من الزمن، وباليقينا نتعامل معها أخذاً و رداً ، لكننا أصبحنا نستهلكها دون تصفية وتنقية، ولم يقف الحال عند هذا، وإنما أمسينا لها صناديق أمينة تحفظها رغم ما فيها، بل يعمل العديدي على نشرها بين طلبتنا دون تحقيق أو توفيق ! إنَّ عَرْضَ تلك المعارف على مؤصَّلات¹² ومعايير¹³ أصيلة ، بات من الضروري بمكان وذلك لأنَّ المعايير " هي الصورة المثلى المطلوب حصولها في الأشياء لكي تحظى بالقبول. "¹⁴

وقد صنَّف الفلاسفة هذه المعايير إلى ثلاثة ، هي :

- | | | | |
|----|-----------------|----|------------------------|
| 16 | * معايير الصدق | 15 | التي يعتمدها العقل |
| 18 | * معايير الخير | 17 | التي يعتمدها الضمير |
| 20 | * معايير الجمال | 19 | التي يعتمدها الذوق . " |

والحقيقة أنَّ هذا التَّصنيف الابدستيمولوجي للمعايير رغم جودته ، إلَّا أنَّه لا يفي بالمقصود، فمعايير الصدق (**Véracité**) في علومنا الإنسانية أنتجها العقل، ولكنَّه لا يستطيع بمفرده أن يحكم بصدقها، لذلك تاهت نظريات عديدة حينما حاولت تفسير بعض السلوكات الإنسانية !!

ثمَّ إنَّ لصدق الخبر شرطين :

الأول: مطابقته للواقع.

والثاني: مطابقته لاعتقاد المتكلِّم²¹؛ وهذا مبحثٌ واسعٌ يتواظفُ فيه الجميع (العقل، الضمير، والذوق)

وعندما يتكلَّم الابدستيمولوجيون ؛

* عن معايير الصدق - وعن العقل.

* وعن معايير الخير - وعن الضمير (**Conscience Morale**).

* وعن معايير الجمال - وعن الذوق .

فإنَّ أوَّل ما يُقَابَلُون به مجموعة من الأسئلة :

ما ا لصدق الذي عنه أنتم تتكلَّمون ؟ وعقل من الذي تقصدون ؟

أي خير ذلك الذي تريدون ؟ وضمير من الذي تصفون ؟

وهل الجمال النفسي الوجداني تقصدون ؟ أم تلك الصور التي ترسمون ؟

أما الذوق فليس المقصود الحلاوة والمرارة والحموضة! فتلك إحساسات مشتركة لكن تذوق المعاني السامقة كالخير والعدل والرحمة.. هو المقصود !

إن توجيه دراستنا نحو تجاوز النقل (الأمين!!)، أو ما اصطلح عليه بالموضوعية²² يخرج دراستنا - التي تتعلق بنا نحن، وليس بغيرنا - من النقليّة الحرفيّة، إلى النقدية الواقعية. ويسمح بالوصول إلى نتائج « ذاتية » أي نابعة من ذات مجتمعنا، ومن ذوات أنفسنا، لا أن نطلب الأصول من نواتج دراسات نبتت وترعرعت عند غيرنا، ثم نودّ زرعها في ثريّة غير تربتها !!

8- علومنا الإنسانية مآخذ و مطالب. (علم النفس وعلوم التربية : نموذجاً)

يرى إريك فروم - أحد مقرري النادي العالمي في روما، والمتخصّص في الدراسات المستقبلية - : " إن اهتمام علم النفس الحديث ينصبّ في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشّى مع منهج علمي مزعوم، جعله يفتقر إلى موضوعه الرئيس، ألا وهو: الروح؛ وذلك لأنه كان وما زال يركّز على الميكانيزمات وتكوين ردود الأفعال والغرائز دون أن يعنى بالظواهر الأساسية المميّزة أشدّ التمييز للإنسان، كالحبّ والعقل والشعور والقيم ، ومن ثم، فلا بدّ له من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة. " ²³ إن التفسير المبتور الذي تقدّمه أغلب النظريات - النفسية والتربوية والاجتماعية - يعكف الآن على تصحيح مساره بالعودة إلى مصادر أخرى لمحاولة تفهّم السلوك الإنساني في حالاته النفسية والروحية، ذلك أن ما يحدث الآن من اضطراب وهرج ومرج، يستوقف جميع تلك التوجّهات لتقديم حلول عاجلة وأجلة لمشكل الإنسان المعاصر ²⁴ وهذا ما يجعل الابستمولوجيا تسير في طريق التحلل وإعادة التركيب، وبناء مصفوفة جديدة تتضمن معايير (العالم الآخر)، ذلك العالم الذي ظلّ حجباً من الزمان مغيباً ! لذا قال إميل دوركايم (E.Durkheim) - أحد الفلاسفة اليهود العالميين - في كتابه: « أصول الحياة الدينية » : " إنّه من المعلوم أن أولى الأنظمة التصورية للعالم وللإنسان، هي من أصل ديني، فكلّ ديانة هي في الوقت نفسه، معرفة للكون، ورؤية لعالم الغيب (The Invisible World) ؛ وإذا كانت الفلسفة والعلوم قد نشأت من الدين، فمردّ ذلك إلى أن الدين قد شكّل أول فلسفة، وأول علم. " ²⁵ ولا شكّ في أن المهتمين بالدراسات الإنسانية متفقون على أن ما تضمّنه هذه الدراسات من آراء ونظريات، ليس فوق النقد، وأنه لا يعدو أن يكون اجتهدات بشرية تخطيء وتصيب، ومن ثمّ لا بدّ أن تنشط حركة النقد وتتعدّد مدارسه لنبد الجمود الذي لا يخدم الثقافة العربية والإسلامية في شيء، بل يُكرّس الواقع الذي عانت منه هذه الثقافة في عصور الانحطاط " ²⁶ قال الأستاذ فكار رشدي : " لقد شكّل الاستعمار ²⁷ في مغرب العرب ومشرقهم العامل الأساس لإعاقة هذا الإنتاج - يقصد الإنتاج العربي في حقل علم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية - والقاسم المشترك في قصوره إمّا بصورة مباشرة عن طريق استنزافه لقدرات جانب كبير من النخبة في الصراع الذي فرضه عليها حين طغيانه على

مجتمعاتنا، فانشغلت به بدلاً من انشغالها بواقع مجتمعاتها وكيفية النهوض بها، أو بصفة غير مباشرة حين إلقائه لإشكاليات صورية من فئات موانده الثقافية لتتلهى بها ما تبقى من هوامش النخبة غير الملتزمين بالصراع، خشية أن تغبأ هي بدورها في مواجهته. وعليه لم تتح للنخبة في جملتها - اللهم إلا ما ندر - أن تتعرف على مجتمعاتها وحاجاتها، وتهتم بإشكالاتها الأساسية. " 28

والمتمتع في تراث علم النفس وعلوم التربية، وفي هذا الركام الهائل الذي ندرسه وندرسه لأبنائنا، يجد أنه لا يخرج عن مصادر معينة، يلخصها لنا النفساني الفرنسي (François- Pire)، مؤكداً أن كل مصدر يحدد تعريفاً - معيناً - للسلوك الإنساني. يقول: " إذا كان السؤال الأعم في علم النفس هو معرفة لماذا يتصرف الفرد كما يتصرف، فطبيعي أن نميل إلى تفسير السلوك دفعة واحدة، وعندنا الآن خمسة تعريفات هي :

- 1 - مجموعة استجابات لمجموعة من المثيرات.
- 2 - مجموعة أفعال يتكيف بها الفرد، وبشكل أوسع يستمر بها النوع.
- 3 - مجموعة أحداث متولدة من الحركة أو النشاط العصبي.
- 4 - مجموعة من التكتلات في شبكة اجتماعية ثقافية.
- 5 - مجموعة من الحالات أو التفاعلات المقصودة (المتعمدة) أو المواقف المعبرة. " 29

و المحلل لهذا الاختصار الجيد، يستشف أن :

- " التعريف الأول : يرجع إلى السلوكية، وعندها: المثير - الفرد - الاستجابة.
- والتعريف الثاني: يرجع إلى البيولوجية، وعندها: المثير - الجسم - الاستجابة.
- والتعريف الثالث: يرجع إلى الفزيولوجيا، وعندها: المثير - الجهاز العصبي - الاستجابة.
- والتعريف الرابع : يرجع إلى علم الاجتماع والإنسان، وعنده: المثير - الفرد الآخر - الاستجابة.
- والتعريف الخامس: يرجع إلى السيميائيات، وعندها: المثير - القصد والنية - الاستجابة .

والقاسم المشترك لهذه التعريفات واحد، وهو: أن البعد الروحي مغيب عن موضوع السلوك، والوحي مغيب عن مصادر معرفته. " 30

9- مجموعة من الاعتبارات يقتضيها البحث في هذا السبيل .

البحث في هذا السبيل يقتضي معرفة مجموعة من الاعتبارات، من أهمها :

- أ - مراحل التناولات التربوية والنفسية .
- ب - واقع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي .

ج - موقف المشتغلين بعلم النفس وعلوم التربية من فكرة التأصيل والترشيح.
أ - مراحل التناولات التربوية والنفسية.

الدّارس لتاريخ الدّراسات التربويّة والنّفسية، يجدُ الحديث عن ثلاث مراحل مرّت بها الدّراسات :

- المرحلة الأولى: مرحلة الكتابات الأجنبية، وذلك قبل ظهور الجامعات العربية .
- المرحلة الثانية: مرحلة الدّراسات القوميّة والوطنيّة، أين بدأ استعمال اللّغة العربية في الترجمة والتأليف.
- المرحلة الثالثة : مرحلة الدّراسات التّأصيليّة التي بدأت تبحث عن خصوصيات المجتمع الأصل، وفي الوقت ذاته، تستأنس بما وصلت إليه الأمم الأخرى في شتّى العلوم.³¹

ب - واقع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي.

إنّ واقع العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي في مجال الدّراسات النّفسية، يمكن إيجازه في مجموعة نقاط من أهمّها :³²

- علاقة الاستيراد والتصدير التي تتّمة من جانب واحد دائماً.
 - الاعتماد المعرفي على الغرب (نظريات ونماذج ومناهج ، اختبارات ونتائج).
 - قطع الصّلة بالتراث النّفافي واعتبار القديم عائقاً عن التّقدّم.
 - معظم التراث الغربي المستورد لم يتمّ اختياره على ضوء الحاجات القوميّة والنّفافيّة .
 - كفّ التفكير الإبداعي وانتشار التّكرار في أبحاث الماجستير والدكتوراه اعتماداً على ما قاله علماء الغرب، وذلك على حساب المشكلات الجوهرية التي تعاني منها البلاد النامية.
 - الاعتراّب وفقدان الهوية النّفافيّة.
 - فقدان الهوية المهنية (الخلط بين الأخصائي النّفسي، والأخصائي الاجتماعي، وطبيب الأمراض العقليّة) إضافة إلى أنّ ما يدرسه الأخصائي النّفسي لا يكفي للتأهيل .
- ومن الأعراض المكوّنة لأزمة علم النّفس المعاصر، أنّ الكثير من الدّارسين في العلوم الإنسانية أصبحوا أمّاء أشدّ الأمانة على ما يقرأونه أو يأخذونه من الغرب، بل يحرصون على نشره و تربية الناشئة عليه ! : " إنّ هذه الأعراض - في الواقع - صنعها علماء النّفس المسلمون أنفسهم، ولا يلام علماء النّفس الغربيون إنّ وجّهوا علم النّفس لتحقيق مصالحهم وأهدافهم، والمعلوم هم الذين وضعوا أنفسهم في شرك التّبعية العلميّة. " ³³

لذلك فإنَّ الواقع الذي تعيشه الشعوب الإسلامية، والمليء بالاضطرابات والأزمات، كشف عن عجز تلك العلوم عن حلِّ مشكلات تلك الشعوب التربويّة والنفسية و الاجتماعية؛ كما أنَّه ما يزال يكشف عن عدم سلامة تلك الطرق التي انتقلت بها تلك العلوم إليها؛ ومن هنا ظهرت أصواتٌ مواقفها مختلفة تجاه تلك العلوم الوافدة :

- منها التي تنادي برفض تلك العلوم رفضاً كلياً، فلا تقبل بالكلية، ولا يؤخذ منها شيء.
- و أخرى ترى نقل تلك العلوم نقلاً حرفياً (أميناً !!)؛ أي: أنها ترى أخذ تلك العلوم دون تنقيح، أو نقد، أو تصحيح .

- و أخرى ترى التفصيل في المسألة (أي: أنها لا تقبل كل تلك العلوم، ولا ترفضها كلها، إنما تتخير لها ما تُقدِّر أنه صالح لحلِّ مشكلاتها .)

إنَّ المواقف الثلاثة المذكورة (الرِّفض التَّام؛ والقبول التَّام؛ والتفصيل)، " قد مرَّ الفكر الإسلامي بحالات مماثلة لها، وذلك عندما تواصل المسلمون بالأُمم المجاورة لهم من الفرس والروم واليونان وغيرهم، وتميّزت مواقف ثلاثة أيضاً، وكان الموقف الذي صمد هو الموقف الذي لم يعتمد التَّحريم المطلق ولا القبول المطلق، وإنما اعتمد الدِّراسة التفصيلية التي تميّز في هذا التراث الوافد، المقبول والمردود، ظهر ذلك الموقف العلمي في تقييم أبي حامد الغزالي للفلسفة اليونانية، وتقييم أبي العباس ابن تيمية لمنطقها الأرسطي . وكانا يستلهمان تعاليم الإسلام من منهجهما النّقدي، وهي تعاليم تفصل الحكمة عن قائلها، إلى معرفة الحقّ بالحقّ، فإذا كان الكلام معقولاً في نفسه مؤيداً بالبرهان، ولم يكن مخالفاً للكتاب والسنة، فلماذا يُردُّ أو يُنكر؟! ولو فُتِحَ هذا البابُ لردَّ المسلمون كثيراً من المعارف والعلوم، لأنَّ غيرهم سبقهم إلى تأسيسها أو ساهم في تطويرها. " ³⁴

ج - موقف المشتغلين بعلم النفس وعلوم التربية من فكرة التأصيل والترشيد.

والنَّاطر بعين الإنصاف، يجدُ جمعاً كبيراً من العلماء الأوائل أصلوا لمنهج التَّوفيق والتفصيل في التَّعامل مع العلوم الوافدة، والإفادة منها ومنهم: ابن تيمية ³⁵ وتلميذه ابن قيم الجوزية ³⁶ والغزالي ³⁷ وابن حزم ³⁸ وغيرهم - رحمهم الله - ولعلَّ الغزالي تصدَّى لهذا الأمر حينما تكلم عن أقسام العلوم الفلسفية ³⁹ وعن أصحابها، فقد قسَّم العلوم في عصره - والتي نظر لها الفلاسفة - إلى ستة أقسام :

1- علوم رياضية، 2- علوم منطقية، 3- علوم طبيعية

4- علوم إلهية، 5- وعلوم سياسية، 6- وعلوم أخلاقية

و تكلم عنها بإسهابٍ واستدلال، وفصّل في بعض الآفات العلمية التي توقّع بعض الباحثين في « الوهم العلمي » من جزاء النَّظر في « مقالات الفلاسفة »؛ فقال :

" الآفة الأولى: إنَّ من ينظر فيها يتعجَّب من دقائقها،ومن ظهور براهينها،فيُحسنُ بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة،فيحسب أنَّ جميع علومهم في الوضوح ووثاقه البرهان كهذا العلم،ثمَّ يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسن بالتقليد المحض،ويقول: لو كان حقاً لما اختفى على هؤلاء . " ⁴⁰ والواقع أنَّ نظير هذا الكلام يمكن إسقاطه على العلوم الإنسانية عندنا،" فيستند إلى أبحاثٍ محايدة فيه ليقول بموضوعيته في كلِّ أفكاره ونظرياته، ثمَّ يرى وجهته قائمة على مقابلة التفسير العلمي للتفسير الديني، فيرفض كلَّ تفسيرٍ دينيٍّ للظاهرة النفسية، ويرفض تبعاً لذلك أيَّ دعوةٍ لتأصيل علم النفس ⁴¹ وغيره من العلوم الإنسانية !!

أما " الآفة الثانية : نشأت من صديقٍ للإسلام جاهلٌ، ظنَّ أنَّ الدين ينبغي أن يُنصَرَ بإنكار كلِّ علمٍ منسوبٍ إليهم، فأنكرَ جميعَ علومهم، وادَّعى جهلهم فيها حتَّى أنكر قولهم في الخسوف والكسوف، وزعم أنَّ ما قالوه على خلاف الشرع ، فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشكَّ في برهانه، لكن اعتقد أنَّ الإسلام مبنيٌّ على الجهل وإنكار البرهان القاطع. ولقد عظمت على الدين جناية من ظنَّ أنَّ الإسلام يُنصَرُ بإنكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرضٌ لها بالنفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرضٌ للأمور الدينية. " ⁴²

خاتمة .

إنَّ الجهود المبذولة في سبيل تحسين وتأصيل العلوم الإنسانية ما تزال ضيقة المجال، قصيرة التداول مشوشة التصوُّر، يعوزها النظر المؤصل الذي يجعلُ الأصول الخالدة (الوحيين : الكتاب والسنة) قواعد لكلِّ علومنا : وما فيهما من كمالية وشمولية، ودقَّة ورقة، وبيان للحال والمآل، لكن ذلك النظر لا يمكن الوصول إليه - وليس ذلك بالمستحيل - إلاَّ إذا تعايشت و تناغمت الجهود في أداء البحث الوظيفي، الخادم لقضايا الأمة في إطار هذه العلوم؛ وتأسيساً على هذا، فإنَّه يصبحُ من الضرورة بمكان أن تحضن وتحمي هذه العلوم الإنسانية بعلوم الوحيين، وهذا هو الوضع الطبيعي، لأنَّ العلوم مهما بدت كاملةً وشاملة، فلا بدَّ لها أن تعيش بين أحضان أصولها.

قائمة المراجع و الهوامش.

1 -Grawitz; Madeline . Les méthodes des sciences sociales, éd. dalloz ; Paris 1976,

2- Brain Holmes. Ivory Towers ;The Glass bead games, and open societies Social Function of Comparative Education Reprographics ;University of London Institute education London ;1979.

3 - Grawitz ;Madeline .1976 .

4 - معنوق، فريدريك. منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1985م، ص: 08 .

- 5 - المرجع ذاته والصفحة.
- 6- صليبيا، جميل. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، 33/01.
- 7- التصنيف (Classification) من صنف، يُصنّف الأشياء، جعلها أصنافاً، وميّز بعضها من بعض؛ ومنه تصنيف وتصنيف الطلبة، وتصنيف النباتات، وتصنيف العلوم. ويشترط في التصنيف الجيد :
- أن يكون الصنف الواحد جامعاً لكل ما يمكن أن يوضع فيه.
- وأن لا يوضع الشيء الواحد إلا في صنف واحد
- وينقسم التصنيف إلى: تصنيف صناعي (C-Artificielle)، وتصنيف طبيعي (C-Naturelle)
- وأحسن تصنيف العلوم ما كان طبيعياً، تميّز فيه موضوعاتها وعلاقاتها تمييزاً صحيحاً، وتصور جوانب الوجود تصويراً صادقاً. (راجع: المعجم الفلسفي لجميل صليبيا، 280-279 / 02)
- 8- صليبيا، جميل. المعجم الفلسفي، 100/02
- 9- صليبيا، جميل. المعجم الفلسفي، 100/02
- 10 - العلوم المعيارية (Sciences Normatives) هي العلوم المؤلفة من أحكام إنشائية، أي أحكام قيم أو تقويم
- 11- الوهم العلمي من قبيل التصور والتخيل، ويُطلق على كلّ صورة ذهنية لا يقابلها في الوجود الخارجي شيء.
- و يرى أندري لالاند (André-Lalande / 1867م - 1963م) - المنطقي العقلاني الفرنسي ، والذي أشرف على تأليف «المعجم التقني والتّقدي للفلسفة» أحد أشهر المعاجم التقنيّة التقديّة الفلسفيّة- أنّ هناك من طلبة العلم، ومن العلماء حتّى، من يستعمل في تفسيره للوقائع والأحداث التي يتعايش معها، ما يسمّى بالوهم التمثيلي (Représentative Fiction)، وهو أن يتصور فرضيّة صالحة لتمثيل قانون إحدى الظواهر من غير أن يكون استعمال هذه الفرضيّة مشروطاً بمطابقتها للواقع الموضوعي.
- كما أنّ علماء منهجية البحث في «علم مصطلح الحديث» يستخدمون كلمة «وهم» للدلالة على كلّ خطأ في الإدراك أو الحكم، أو الاستدلال. (يُرجعُ إلى: الشّهزوري، نقي الدين ابن الصّلاح. مقدّمة ابن الصّلاح في علوم الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1991م.)
- 12- مؤصّلات: بالمعنى العام معايير، وبالمعنى المراد هنا إرجاع هذه المعايير - وإن كانت عالميّة - إلى أصولٍ نابذة و نابذة في تاريخ وحضارة الأمة.
- 13- والمعايير، جمع معيار (Norme)، وهو: عند الأصوليين الطّرف المساوي للمظروف، كالوقت للصّلاة. وعند المنطقيين نموذج مشخّص، أو مقياس مجرد، لما ينبغي أن يكون عليه الشيء، ويُرادفُه العيار، وهو ما جعل قياساً ونظاماً للشيء، ويرادفه أيضاً القاعدة، وهي: القضية الكلية المنطبقة على جميع جزئياتها، أو النموذج المثالي الذي تنسب إليه أحكام القيم (Jugements de Valeur) (راجع: صليبيا، جميل. المعجم الفلسفي.)
- 14- يعقوبي، محمود. معجم الفلسفة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص: 162
- 15 - الصدق (Véracité) ضد الكذب، وهو مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم.
- 16 - العقل (Cœur - Heart) في الأصل عضو صنوبري (Conique) الشكل، مُودّع في الجانب الأيسر من الصّدر يستقبل الدّم من الأوردة ويدفعه إلى الشرايين. ويطلقُ على: النّفس، أو الرّوح، أو على تلك اللّطيفة الرّبانيّة التي لها بالقلب تعلّق، وهي حقيقة الإنسان التي يسمّيها الحكماء بالنّفس النّاطقة أو العقل. ويرى أبو حامد الغزالي / (1059 م - 1111 م) - الفيلسوف المربّي الصّوفي - أنّ القلب يُدرك الحقائق العقليّة بطريق الحدس والإلهام، لا بطريق القياس والاستدلال (إحياء علوم الدّين، 18 / 03).
- وإلى ذات التوجّه ذهب بليز باسكال (Blaise-Pascal) الفيلسوف الرّياضي الفيزيائي الفرنسي، الذي دفعه تدنّيه النّصراني إلى دحض إدّعاءات الملّحين. حيث قال في « الأفكار - خواطر باسكال، ص: 459 » : " إنّنا لا ندرك الحقيقة بالاستدلال العقلي وحده، بل ندركها بالقلب أيضاً، وكذلك معرفتنا بالمبادئ الأولى، فهي لا تتمّ إلّا بهذا النّوع الثّاني من الإدراك، ومن الواجب على العقل أن يرجع إلى إدراكات القلب والغريزة، وأنّ يبني عليها نظره واستدلّاه. "

- 17 - الخير (Good-Bien) اسم تفضيل، يدل على الحسن لذاته، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة، وعلى المال الكثير الطيب، وعلى العافية والإيمان والعفة. وهو بالجملة ضد الشر، لأن الخير هو وجدان كل شيء كمالاته اللاتقة، أمّا الشر فهو ما به فقدان ذلك. (راجع: صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، 550/01)
- 18 - الضمير (Conscience Morale)، هو: ملكة التمييز بين الفعل الحسن والفعل القبيح، وهو قبل الفعل يتجلى في صورة المطالب، وبعده في صورة المحاسب، وكان القدماء - من المربين والفلاسفة - يطلقون عليه اسم «القلب» (أنظر: يعقوبي، محمود. معجم الفلسفة، ص: 124)
- 19 - الجمال (Beauté - Beau) وهي صفة تُلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً ورضى... وهي أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها القيم، أي: الجمال، والحق، والخير. والعلم الذي يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته، يسمى: «علم الجمال - Esthétique»؛ وهو باب من أبواب الفلسفة. (راجع: صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، 408/01)
- 20 - الذوق (Taste - Goût) في الأصل حاسة تُرك بها الطعوم من حلوٍ ومرٍّ وحامضٍ، وآلته الأعصاب الحسية المنبئة في اللسان... والذوق - أيضاً - قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وقد يطلق على ميل النفس إلى بعض الأشياء، كتنوُّق المطالعة والأحاديث الجميلة، ويرادفه حسن الإصغاء، وشدة الانتباه، وكثرة التعاطف. وقد يطلق الذوق على القوة المهيئة للعلوم من حيث كمالها في الإدراك بحسب الفطرة، أو على حذق النفس في تقدير القيم الخلقية والفنية، بقدرتها على إدراك المعاني الخفية في العلاقات الإنسانية، أو قدرتها على الحكم على الآثار الفنية كالشعر والأدب، بطريق الإحساس والتجربة.
- كما أن الذوق في اصطلاحات الصوفية - كما يقول الجرجاني (1339م - 1413م)، في كتابه: «التعريفات» - نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه! يُفرّقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره !!
- 21 - صليبا، جميل. المعجم الفلسفي، 723/01
- 22 - يرى جمع من العلماء الباحثين في أصول المصطلحات وتأصيلها، أن كلمة «موضوعية» (Objectivité) - وإن كانت من الكلمات المظلومة كما قال البشير الإبراهيمي - رحمه الله - إلا أن هناك ما هو أصل منها، وأكثر تأدية لمعناها وزيادة، ومن ذلك «الأمانة» و «الصدق» و «الثقة». « وغيرها. (أنظر: حسان، محمد حسان. ابن حزم الأندلسي، عصره ومنهجه، وفكره التربوي. دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر، 1964م.)
- 23 - فروم، إريك. الدين والتحليل النفسي، ترجمة: فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، 1990م، ص: 177
- 24 - ذهب إلى الطرح ذاته: توفيق، محمد عز الدين. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، مصر، ط: 02، 2002م، ص: 46 إلى 55.
- 25- Durkheim.E . Les Formes élémentaire de la vie relegieuse; P.U.F.Paris.191
- وقد ترجم هذا العمل الأستاذ: توفيق، محمد عز الدين، ترجمة رائعة موفية بالغرض، أدرجها رسالته للدكتوراه في مسار تأصيل الدراسات النفسية.
- 26 - توفيق، محمد عز الدين. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص: 07
- 27 - الإستعمار (Colonialisme)، كلمة تطلق بالمفهوم الشائع على حلول جماعة بأرض غير أرضهم لاستغلال ثرواتهم لصالح بلدهم الأصل، أو لبطط السيادة السياسية عليها لأغراض اقتصادية أو عسكرية. وهي من الكلمات المظلومة - على حد تعبير الشيخ البشير الإبراهيمي - لأن كلمة « إستعمار » تعني الإعمار والبناء، والاستعمار بالمعنى الأول عكس ذلك !!
- 28 - فكار، رشدي. علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا، معجم عالمي موسوعي، دار النشر العالمية، باريس، 1980م (المقدمة)
- 29 - Pire. Questions de Psychologie. Iditions Universitaires; 1988, p165
- 30 - توفيق، محمد عز الدين. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص: 232

- 31- الغرب (Occident) كلمة اشتهرت- في الكتابات التربوية والنفسية والاجتماعية - للدلالة على بعض الدول، التي لا ندين بالإسلام رسمياً، و لا نتعامل به في حياتنا المعيشية، وقد يُقصد بها : أوروبا و أمريكا ومن سار في فلكهما وإن لم يكن ينتمي إليهما جغرافياً، وعموم ما يُراد به من إطلاق هذه الكلمة: العدول والصدّ عن ما جاء به الإسلام في ما يتعلّق بحياة الإنسان النفسية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية ... وإن كان ليس كل ما يأتي من الغرب يقابل بالرّفْض. وإنّما ينقُى ويُصَفَّى - رغم صعوبة هذا العمل ! -
- 32- أبو حطب، فؤاد. نحو وجهة إسلامية في علو النفس، بحثٌ مقدّم لندوة « نحو علم النفس الإسلامي » المنعقدة بالقاهرة سنة 1990 م، تحت إشراف الجمعية العربية للتربية الإسلامية (مصر) بتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن) ص: 30-31.
- 33- توفيق، محمد عز الدين. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص: 33
- 34- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، نقّي الدين، (661هـ - 728هـ / 1263م - 1328م)؛ ولد في حرّان وتوفّي في دمشق، يُلقَّب بشيخ الإسلام لدفاعه عن عقيدة التوحيد ضدّ الفلاسفة الملحدين والباطنية والمُشعوذة، دعا إلى إصلاح الدين بالعلم والبحث والنقّص، وتنقيته ممّا لصق فيه من خرافات العقائد القديمة، كال يونانية والفارسية والصوفية، من أعظم مؤلفاته " : كتاب موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول " و " منهاج السنة " ؛ كان عالماً، عابداً، عاملاً ، له مواقف مشرّفة في زمانه. (أنظر من كتب التراجم: الزركلي، خير الدين. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 05، 1980)
- 35- وابن قيم الجوزية، هو: عبد الله شمس الدين، بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (السوري). ولد (691هـ = 1292م - وتوفّي 751هـ = 1352م)، اشتهر بابن الجوزية، لأنّ أباه كان على قيماً على "المدرسة الجوزية" إحدى أعظم المدارس الحنبليّة الدمشقيّة السُوريّة، وقد تعرّضت هذه المدرسة للنّهب والحرق على يد الفرنسيين عام 1925م، ثمّ أعيد بناؤها.
- كان ابن القيم من العلماء الزبانيين العاملين بعلمهم، وهو من الصّنف الذي يحبه جميع المذاهب والاتجاهات لاعتداله وقوله الحقّ، برز في كثير من العلوم الإنسانية والشرعية، وله سباقاتٌ ممتازة في كثير من الأفكار والتّساوالت. مؤلفاته قد أوصلها بعضُ الباحثين إلى أكثر من ستّة وتسعين كتاباً. وقال عنها المستشرق بروكلمان: « أنّها لا تُحصى ولا تُعدّ. » حتى أنّ أولادَهُ ظلّوا بعده زمناً طويلاً وهم يبيعون منها. ومن أشهرها، والمتعلّقة بعلم النفس وعلوم التربية- والتي لم توفّ حقّها من الدّراسة والبحث:-
- " طريق الهجرتين وباب السّعادتين " و " مفتاح دار السّعادة " و " تحفة المودود بأحكام المولود " و " معرفة الرّوح والنّفس " و " بدائع الفوائد " و " روضة المحبّين ونزهة المشتاقين " و " الدّاء والدّواء " و " فضل العلماء " و " عدّة الصّابرين " و " نور المؤمن وحياته " و " كتاب الطّاعون " و " الفرق بين الخلّة والمحبة ...
- 36- الغزالي: أبو حامد محمد، ولد بقرية غزّالة قرب مدينة طوس في خراسان، سنة: 450هـ/ 1059م، وعاد إليها في آخر أيامه وتوفى بها سنة: 505هـ/ 1111م؛ ناهض أفكار بعض الفلاسفة اليونانيين، اهتّم ببيان قصور العقل عن إدراك كلّ شيء، وقفّ جهده على الدّفاع عن عقيدة التّوحيد، وحمايتها من جهالات العوام ومقاصد المغرضين، وجعلها في متناول فطرة الإنسان؛ من أهمّ آثاره: «مقاصد الفلاسفة» «معيار العلم» « محكّ النّظر» « المنقذ من الضّلال » «إحياء علوم الدين» «الاقتصاد في الاعتقاد» « كيمياء السّعادة » « إلجام العوام عن علم الكلام » وغيرها في التّصوّف وعلم النفس والتربية.
- 37- ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد بن حزم بن غالب، الظّاهري، من أهل قرطبة، الأندلس (إسبانيا) ولد سنة 384هـ - 994 م؛ وتوفّي سنة 456هـ - 1064م، من كبار علماء الإسلام، اشتهر بمذهبه الظّاهري في الفقه و التربية، ونقده القويّ واللّاذع للفلاسفة وأصحاب الفرق. له إسهاماتٌ مشرّقة في أصنافٍ كثيرةٍ من العلوم، من أهمّ مؤلفاته : « كتاب الفصل في الملل و الأهواء والنحل » و « كتاب التّقريب لحدّ المنطق » و « الأخلاق و السير » ...
- 38- الغزالي، أبو حامد. مقاصد الفلاسفة، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1331هـ/ 1919م.
- 39- الغزالي، أبو حامد. المنقذ من الضّلال، تقديم وشرح: عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللّبناني، بيروت لبنان، ط: 02 1985م، ص: 101.
- 40- توفيق، محمد عز الدين. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص: 34

- 41- المرجع نفسه والصفحة.
- 42- خلايفة، محمد. الفكر التربوي عند ابن حزم الأندلسي، رسالة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 02، 2011م.